# المدخل إلى العهد القديم

## (الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل



طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

# الجامعة

الاسم العبري للسفر «كوهيليث» ويعني به «قائد جماعة أو محفل» أو «مبشر وسط جماعة». والكلمة العبرية جاءت في صيغة اسم الفاعل المفرد المؤنث. والسؤال الآن: كيف يشار بها عن سليمان؟ (١:١) وتفسير ذلك - كما يرجح - أنها إشارة إلى وظيفة لا إلى اسم، كما في لفظة «جامعة» في العربية والتي تشير إلى الشخص العالم بل الفائق العلم لجوانب الحياة المختلفة.

## كاتب السفر

يرى بعض العلماء أن كاتب السفر هو الملك سليمان، وذلك على أساس العبارة الواردة في (١:١) «كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم». بالإضافة إلى إشارات أخرى (١٦:١، ٢:٤-١١) أدت إلى الأخذ بالرأي القائل إن سليمان هو الكاتب. ويرى البعض الآخر أن سليمان لم يكن كاتباً لسفر الجامعة، لأن أسلوب الكتابة في نظرهم لم يكن بذات الأسلوب المشابه للعصر الذي حكم فيه سليمان. بالإضافة إلى الكلمات الواردة في عدد (١٢) من الأصحاح الأول: «أنا الجامعة كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم». وفي عدد(١٦) يردد الكاتب: «أنا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلي على أورشليم»، وهي آيات تعطي احتمالاً بأنه لم يعد ملكاً بعد ذلك. هذا بخلاف سليمان الذي ملك طوال حياته على أورشليم. مما جعل البعض يرى أن الكاتب عاش في عصر ما بعد سليمان. كما أن السفر يتكلم عن ظروف إجتماعية وسياسية تختلف كثيراً عما كانت عليه في عهد سليمان. فالسفر يتحدث عن زمن يأس وبطل (١:٢-١١)، وزمن هلاك لإسرائيل (١:٣-١٥)، وظلم وتعد (١:٤-٣)، وعن الموت الذي هو أفضل من الحياة (١:٧، ٨:٩). وعن الإنسان الذي يتسلط على إنسان لضرر نفسه (١٣:٤). إنه زمن يقال فيه «ولد فقير وعاقل خير من ملك شيخ وجاهل الذي لا يعرف أن يحذر بعد» (٢:٨، ١٤:٩-١٦، ١٦:١٠، ١٧، ٢٠). كما يتحدث الكاتب عن الشرور الكثيرة في عصره والتي انعكست على حكمه (١:٤، ٨:٥، ٩:٨، ٦:١٠، ١٦،٧). ويرجح أن الكاتب استخدم اسم سليمان لأهداف علمية أدبية. كما حدث ذلك مع أفلاطون وكتاباته في أسلوب حوار مع أستاذه سقراط. مما سبق يرجح كثير من العلماء أن الكاتب عاش في عصر ما بعد سليمان، وربما في زمن النبي ملاخي.

وجاء في Baba Bathra 15a أن حزقيا ورجاله كتبوا سفر الجامعة، الأمر الذي لا ينكر على سليمان أنه كتب سفر الجامعة، بمعنى أن حزقيا ورجاله قاموا بإعادة كتابته بعد جمعه. ويُعد لوثر أول من أنكر أن سليمان كتب السفر. بينما يرى L.Wogue أن سليمان كتب سفر الجامعة، وأعيدت كتابته زمن ما قبل السبي، وأضيفت إليه بعض الأمثال وأقوال بعض الحكماء والفقهاء، مما أدى إلى اختلاف الأسلوب. فقد جاء مرة في صيغة المتكلم ومرة في صيغة الغائب (٢:١، ١٢:١٣، ٧:٨، ١:١، ٩:١٢-١١، ١٢:١-١٣، ٧:٢٣-٢٤).

غير أن الكاتب للسفر أصلاً هو سليمان كما يرى علماء كثيرون ألمان وفي مقدمتهم Hans Moeller, Gietmann and Schumacher (هانز مولر وجيتمان وشوميخر)، ولا يُعرف بالتحديد من وضع الصيغة النهائية لسفر الجامعة. لكن يعتقد أنه عاش في زمن ما بعد السبي. إن السفر قد كتب ما بين عامي ٢٨٠-٢٠٠ ق.م، وربما بعد ذلك كما يرى Graetz. ويرى وليم ألبرايت W.F.Albright أن السفر كتب عام ٣٠٠ ق.م أما عن إرنست رايت G.E.Wright

فيرى أن السفر كتب ما بين عام ٤٠٠-٣٢٨ ق.م. ويتفق هاريسون R.K.Harrison مع أ. يونج E.Young بأن السفر كتب زمن النبي ملاخي.

## الخصائص الأدبية للسفر

انفرد أسلوب الجامعة بمصطلحات ومفردات لم ترد في غيره من الكتب المقدسة. وربما بدت غامضة عسرة الفهم. فأدت بالبعض إلى الاعتقاد أن كتابة السفر مرت بمراحل عديدة من الكتابة، أدت بدورها إلى عدم الترابط بين أجزائه، وهذا إعتقاد خاطئ كما سنرى بعد ذلك.

ولقد اتسم السفر بعمق الفكر والفهم لضروب الحياة المختلفة وبتعاليمه في الحكمة. كما تعرض السفر لهجوم بعض الباحثين من اليهود وتأثر بذلك كثيرون من المسيحيين، وتساءلوا : كيف لسفر كهذا أن يكون قادراً على أن يحكمنا للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع مثل بقية الكتب المقدسة، وقد تضمن أفكاراً تشاؤمية ويائسة؟ والحقيقة في رأي آخرين أن سفر الجامعة يعد نقداً تحليلياً للأمور والمعتقدات الدنيوية. وليس بالضرورة أن تكون الأمور الدنيوية غير دينية. إذ أن السفر يهدف إلى حياة أفضل مما هي عليه تحت الشمس. لأن العالم وُضع في الشرير وأخضع للبُطل (رومية ٨: ٢٠-٢٢).

وقد وصف السفر بأنه بمثابة تفسير للعنة خطية السقوط (تك ٣:١٧-١٩) حيث ساد الشر كل العالم الذي تحت الشمس. غير أنه من الخطأ أن ننظر إلى سفر الجامعة بأنه مجرد أفكار سلبية، وأن الكاتب رسول لليأس والفشل. والكلمات «باطل الأباطيل الكل باطل» لا يقصد بها الحياة في جملتها، بل فكر الإنسان واتجاهه نحو العالم المخلوق كغاية وهدف هو في حد ذاته باطل بل وباطل تماماً أيضاً.

## رسالة السفر

إن اهتمام الكاتب الرئيسي والأول هو أن يبدد كل ما هو باطل من آمال وهمية كاذبة سيطرت على عقول الناس. وعليهم أن يأتوا إلى الرجاء الحي الأكيد والثابت «الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة» (عب ٦:١٩)، حتى يتمكن كل إنسان من أن يجد السعادة الحقيقية بتحقيق آماله المجيدة في الرب، وحتى يبدد السعادة الباطلة التي يجد في طلبها دائماً، والتي لا ينجم عنها سوى التعاسة وخيبة الأمل.

وكاتب السفر يعلن أنه في إمكان المرء أن يجد سعادته في العالم إذا أدرك أنها من يد الله (٢:٢٤،٣:١٢،١٣، ٢٢، ٥:١٨، ٩:١٧،١١:٩). كما يحث على العمل وبذل الجهد (٣:١٢-١٤،٩:١٠)، وبهذا تكون لتعاليمه قيمة ومعنى. والقيمة الكامنة في العالم والكون بجملته هي أن يعلن الإنسان ويجلاء، مراحم الله وحكمته وبره ومجده، الذي يملأ كل الأرض. ويوم أن يصبح العالم غاية وهدفاً في حد ذاته. ينقلب إلى الضد، بمعنى؛ يصير باطلاً وقبض الريح.

والسبيل لأن يُقبل المرء على الحياة تحت الشمس، ويتمتع بهباتها، وإيجابياتها، وسلبياتها ومتناقضاتها، هو إدراكه «أنها من يد الله» (٢:٢٤، ٥:١٨-٢٠)، وهذا لا يُعد تشاؤماً كما يقول البعض أو مدعاة لليأس والشكوك والريبة، بل هو إدراك نابع من الإيمان.

وكاتب السفر يدرك أننا نسير بالإيمان وليس بالعيان فيقول «إن الله صنع الكل حسناً في وقته، وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها (بدونها) لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية» (٣:١١).

وهذا الإنسان لا يستطيع مهما سمت حكمته وفطنته، أن يفهم أو يدرك أعمال الله بدون هذا الشيء الذي وضعه الرب في قلب الإنسان المؤمن وهو الأبدية (١٧:٨). وبهذا يؤكد أن الإيمان يصبح بلا معنى إن لم يكن للمؤمن نفع في الحياة باذلاً أقصى جهده، مثابراً في هذا العالم الظاهري واثقاً في ذات الوقت في العالم الأبدي الذي ينتظره ويتطلع إليه بالصبر.

وتوجد مشكلة لدى الجامعة تبدو متناقضة في ظاهرها، وذلك في حديثه عن الموت الذي ينتهي بالحياة تحت الشمس إلى لا شيء. «لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما» (جامعة٣:١٩-٢٠). وحديثه هذا عن الموت، هو تعبير عن دهشته وتعجبه لشر الإنسان وظلمه لأخيه الإنسان. ولم يجد الجامعة تفسيراً للأفعال الشريرة هذه غير اعتقاد هذا الشرير أن الإنسان والبهيمة لها نهاية واحدة.

ويتساءل الجامعة: «من يأتي بهذا الإنسان ليرى ما سيكون بعده؟» (٢٢:٣). ويؤكد الكاتب مراراً حقيقة الدينونة وقضاء الله العادل في كلماته «فقلت في قلبي، الله يدين الصديق والشرير. لأن لكل أمر ولكل عمل وقتاً هناك» (١٧:٣). ويخاطب الجامعة في سفره الشاب بأن يعمل ويجتهد، ويسلك بكل طرق قلبه، ويعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي به الله إلى الدينونة (٩:١١). كما أن الله يُحضِر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً (١٢:١٤).

ويبقى مؤكداً أنه رغم كل ظلم في الحياة تحت الشمس، يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه (١٢:٨). وموقف الجامعة شبيه بما ورد في (مزمور ٤٩) في حديثه عن الإنسان الذي يؤسس رجاءه على البطل من حياته تحت الشمس «باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد مساكنهم إلى دور فدور» (مز ٤٩:١١،١٢). وصدى هذه الكلمات في (جامعة ١٨:٣) «قلت في قلبي من جهة أمور بني البشر أن الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم» (إنهم ليسوا أفضل من بهائم). ويقدم المرنم ما هو أعظم بقوله «إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني» (مزمور ٤٩:١٥). من أجل غنى رحمته، ومحبته الكثيرة التي أحبنا بها (أفسس ٢:٤).

كما تعد الكلمات الختامية للجامعة في (١٢:١٣-١٤) هي المفتاح لفهم الغاية العظمى من السفر «فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً». وقد أوضح رب المجد ذلك بصورة مفصلة في موعظته على الجبل. وما جاء في (٧:٢٩) يعد أساساً لكلمات الجامعة الختامية «انظر، هذا وجدت فقط أن الله صنع الإنسان مستقيماً. أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة». فالإنسان مسئول مسئولية كاملة عن كل ما حدث منه ويحدث له، لسقوطه بمحض إرادته. فتغير عن شكله الذي أراده له الله. ويضفي الكاتب من اختباراته الشخصية تفسيراً ومعنى للحياة، فاكتشف أنه باطل ولا منفعة تحت الشمس. لهذا يوصي بالتمتع بالحياة. «ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويُري نفسه خيراً في تعبه. رأيت هذا أيضاً أنه من يد الله» (٢:٢٤). ولا تعبر هذه الكلمات عن روح تشاؤمية كما سلفت الإشارة. كما لا تعني أن التمتع بهذه الأشياء في الحياة تحت الشمس هو غاية في حد ذاتها، بل أنه إيمان وثقة أنها من يد الله.

والحياة بعيداً عن الله تصبح بلا معنى (باطلاً وقبض الريح) بل أكثر من ذلك تكون مدعاة لليأس والفشل الأكيدين. والطريق الوحيد للسعادة الحقيقية والتمتع بما هو في الحياة تحت الشمس، هو إيمان الإنسان أنها من صنع

الله وأنها من يده. وعلى الإنسان أن يكون متعقلاً وجاداً طويل الأناة (٧:٣-٩)، مثمراً ومنتجاً فيما يوكل عليه (١١:١-٦)، متعاوناً متحاباً مع غيره من الناس. مظهراً طاعة وولاء لمن هم في منصب، حتى وإن كانوا غير عادلين (٤:٩-١٢، ٨:٢-٨، ١٠:٢٠). متعبداً لإلهه في خوف وقداسة (٨:١٢-١٣). بمعنى متمتعاً برؤية إلهه في إحساناته وجوده له كل يوم (قارن خروج ٣٣:١٩أ).

وختاماً باطل الأباطيل الكل باطل، ولا منفعة تحت الشمس، بعيداً عن مخافة الله ومعاينة وجهه (جامعة ١٢:٨، ١٣).